

مدخل مفاهيمي.

المحاضرة الأولى:

تمهيد: مجهودات جبارة يؤديها ويقوم بها الدعوة في واقعنا المعاصر في مجالات عديدة ؛ إن على مستوى الخطاب الدعوي المسجدي أو الخطاب الاعلامي او الخطاب الثقافي وكذا الخطاب السياسي الاسلامي... الا أن التعثرات والإخفاقات احيانا نجدها تطبع المشهد الدعوي الاسلامي عموما ، مما يجعلنا نقف مليا ونمعن النظر في الاسباب التي ادت الى ذلك ، وبالخصوص فيما يتعلق بمحور العملية الدعوية المتمثلة في الدعوة ، سواء على مستوى القدرات المعرفية أو على مستوى الاداء والمهارات ، مما يدعونا الى الغوص اكثر في فقه الدعوة الذي يعد اساس المعارف الدعوية للداعية المسلم وهو يؤدي هذه الرسالة التي ابنت السماوات والأرض والجبال على حملها .

تعريف فقه الدعوة:

تعريف الفقه:

الفقه لغة: كلمة الفقه مكونة من الفاء والقاف والهاء، "هي تدل على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقهته الحديث أفقهه أي فهمته وأدركت معانيه، والفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين، لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كله. (مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 442))

قال الراغب الأصفهاني: "الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد. فهو أخص من العلم، قال تعالى: [فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا] {النساء:78} ، وقال: [وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ] {المنافقون:7} إلى غير ذلك من الآيات ، والفقه العلم بأحكام الشريعة. يقال: فقه الرجل فقاها، إذا صار فقهياً" (مفردات القرآن، ص 384).

الفقه اصطلاحاً: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية

وبيان هذا التعريف كما يلي:

- العلم: أي مطلق الإدراك، سواء كان هذا عن دليل قطعي أم كان عن دليل ظني راجح.
- بالأحكام الشرعية: لفظ (الأحكام) يشمل الأحكام العقائدية مثل الإيمان بالله، والأحكام العملية مثل: وجوب الصلاة، ووجوب الصوم، والأحكام العقلية مثل القول: إن الواحد هو نصف الاثنين، والأحكام اللغوية: مثل الفاعل مرفوع، وغيرها من الأحكام، أما لفظ (الأحكام الشرعية) ففيه تقييد للأحكام بأنها

فقط الأحكام المستفادة من الأدلة الشرعية، وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس، وسد الذرائع، والمصلحة المرسله، وغير ذلك.

- **العملية:** أي الأحكام الشرعية التي تُنسب إلى أفعال العباد الحسية، مثل الصلاة، والحج، والصوم، والزكاة. المكتسبة: أي العلم الذي يُحصل عليه بعد البحث والنظر في الأدلة.

- **من أدلتها التفصيلية:** أي الأدلة التي تتعلق بكل واحدة منها مسألة معينة، ومثال ذلك: قول الله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) البقرة 43'. فهذه الآية دليل على وجوب الصلاة ووجوب الزكاة.

تعريف الدعوة:

- **الدعوة لغة:** بالنظر الى المادة اللغوية (دعا، يدعو، دعاء، دعوة، داعي) نجدتها تدل على المعاني التالية:

1 -دعا: بمعنى نادى، اذّن، صوّت، صرخ، ابتهل. كقوله تعالى (إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) فاطر06.

وكقوله صلى الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه، لا ينقص من اجورهم شيئاً، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من ذلك..) مسلم 2674

2- دعاء: بمعنى المناداة والذي هو الرغبة الى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهاال اليه بالسؤال، ومنه قوله تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) الاعراف55.

3- داعي: منادي ومؤذن ومستصرخ، ومبتهل، وقد سمي الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ب(داعيا) في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) الاحزاب 46/45.

4- الدعوة: بمعنى النداء كقولنا دعا فلانا فلانا إذا ناداه، ودعوت الرجل اذا ناديته وصحت به، كما هي الدعاء للشيء أو للأمر والحث على قصده كالدعوة للطعام.

من هذه المعاني اللغوية للدعوة يتضح ان الالفاظ تشترك في معنى احداث الاتصال بالناس قولاً او عملاً من اجل ابلاغهم امراً ما.

الدعوة اصطلاحاً: إذا أطلق مصطلح الدعوة فإنه يراد في الغالب معنيان:

الأول: الإسلام نفسه والرسالة.

الثاني: عملية نشر الإسلام وتبليغ الرسالة.(د. حمد بن ناصر العمار، نصوص الدعوة في القرآن الكريم ، ص 15-20).

- وعلى المعنى الأول جاءت تعريفات اصطلاحية كثيرة ومنها أنها: ((دين الله الذي ارتضاه للعالمين، تمكيناً لخلافتهم، وتيسيراً لضروراتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعاية لشؤونهم، وحماية لوحدهم، وتكريماً لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم)). (د. محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة علمية، ص 39).

وكذلك تعريف الاستاذ عبد الكريم زيدان: (هي الرسالة الاسلامية الخاتمة التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم وحيا من عند الله في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.) (عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص 17).

- وأما على المعنى الثاني فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه)) (الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 15/157، 161).

وقيل: إن الدعوة إلى الله هي إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه (محمد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح، ص 17).

وقيل: إن الدعوة نداء الحق للخلق، ليوحّدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء غير مشركين، متبعين غير مبتدعين (عبد رب النبي أبو السعود، التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، ص 19).

وعرفها الاستاذ احمد عيساوي على أنها (محصلة النشاط الاتصالي الشمولي الذي يمارسه الدعاة الاسلاميون في مرحلتي التغيير والبناء على الصعيدين المحلي والعالمي بهدف التعريف برسالة الاسلام، التي انزلها المولى تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك عبر مختلف الوسائل والتقنيات الحضارية الممكنة تأسيسا على الاطر المرجعية المقدسة منطلقا وممارسة ومنهجيا واسلوبيا وهدفا). مدخل الى علم الدعوة ص 32

ولعل من أجمع التعاريف للدعوة - على هذا المعنى - ما عرفها به البيانوني، حيث قال: ((تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة)). (د. البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص 40)

تعريف فقه الدعوة: مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه.

وعرفه الاستاذ عبد الحليم محمود: التعمق والتفقه في هم تاريخ الدعوة وأسبابها وأركانها وأهدافها وأساليبها ووسائلها ونتائجها، تعما وتفقهها يمكن الدعاة إلى الله من عرضها أحسن عرض، وأكثر ملامة لمن توجه إليهم

في مختلف بيئاتهم، ومتعدد أجناسهم، ومتباين ألسنتهم ولغاتهم.

انواع فقه الدعوة:

أ - **فقه الواقع**: فقه الواقع مركب إضافي أشبه بالمركبات الإضافية: فقه السيرة، فقه الحديث... وللحصول على تعريفه نمر على التعريفين الآتين.

الفقه: من فقه الأمر: أحسن إدراكه. وتفقه الأمر: تفهمه وتفطنه .

والفقه: الفهم والفتنة... وهو العلم أيضاً، وهو الفقه الذي دعا به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لابن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).

الواقع: عرفه الدكتور عبد المجيد النجار حيث قال: «نعني بالواقع ما تجري عليه حياة الناس، في مجالاتها المختلفة، من أنماط في المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من نوازل وأحداث». فالواقع إذن: كل ما يكون حياة الناس في جميع المجالات، بكل مظاهرها وظواهرها وأعراضها وطوائرها .

فقه الواقع: يقول الأستاذ عمر عبيد حسنه: (فالنزول إلى الميدان وإبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم واستطاعتهم وما يعرض لهم، وما هي النصوص التي تنزل عليهم في واقعهم، في مرحلة معينة، وما يؤجل من التكاليف لتوفير الاستطاعة، إنما هو فقه الواقع، وفهم الواقع، إلى جانب فقه النص) ويرى الدكتور القرضاوي أن فقه الواقع (مبني على دراسة الواقع المعيش، دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الموضوع، معتمدة على أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصاءات) وعرف الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله فقه الواقع، فقال: (هو الوقوف على ما يهم المسلمين مما يتعلق بشؤونهم أو كيد أعدائهم، لتحذيرهم والنهوض بهم واقعياً لا نظرياً، أو انشغالاً بأفكار الكفار وأنبيائهم... أو إغراقاً بتحليلاتهم وأفكارهم) ومنه يمكن تعريف فقه الواقع انه: **الفهم العميق لما تدور عليه حياة الناس وما يعترضها وما يوجهها.**

فقه الموازنات:

الموازنات في اللغة: مشتق من الفعل وازن، تقول: وازنت بين الشيئين موازنة ووزانا، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه، كذا قال ابن منظور في لسان العرب.

الموازنات عند الفقهاء: عَرَفَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ بِتَعْرِيفَاتٍ مُتَقَابِرَةٍ، مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ الدُّكْتُورُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَمَالِيُّ بِأَنَّهَا "المفاضلة بين المصالح والمفاسد المتعارضة والمتزاحمة لتقديم أو تأخير الأولى بالتقديم أو التأخير." (عبد الله الكمالي، تأصيل فقه الموازنات ص 49).

ويكون فقه الموازنات فيما يقع فيه التعارض بين المصالح والمفاسد، حيث يقدم خير الخيرين عند تزامهما فيجلب خيرهما، ويقدم شر الشرين فيدفع، وكذا تقدم المصلحة إذا كانت أعظم من المفسدة، وتدفع المفسدة إذا كانت أعظم من المصلحة عند التعارض وعدم إمكان الجمع، وقد تكون الموازنة في غير ذلك.

مشروعية فقه الموازنات:

قد جاء في نصوص القرآن الكريم ما يشهد لهذا النوع من الفقه بالاعتبار، فمن ذلك قوله تعالى في قصة موسى والخضر عليهما السلام: (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا. وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَحَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) الكهف / 79 - 81، فالخضر عليه السلام بما علمه الله من علم وحكمة أقدم على مفسدة حرق السفينة ليدفع مفسدة ضياعها بالكلية على يد الملك الظالم الذي يأخذ كل سفينة غصبا، وأقدم على مفسدة قتل الغلام ليدفع مفسدة إرهاب أبويه طغيانا وكفرا.

وفي السنة المطهرة ما يدل على ذلك أيضا ، ومن ذلك:

عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا : (يَا عَائِشَةُ ، لَوْلَا أَنْ قَوْمِكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهَدِمَ ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجُ مِنْهُ ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ ، بَابًا شَرْقِيًّا ، وَبَابًا غَرْبِيًّا ، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ) (أخرجه البخاري (1586) ، ومسلم (1333) فهذا دليل على تقديم أولى المصلحتين ودفع أكبر المفسدتين .

وفي ذلك يقول النووي رحمه الله تعالى عند شرحه لهذا الحديث : " فِيهِ دَلِيلٌ لِتَقْدِيمِ أَهَمِّ الْمَصَالِحِ عِنْدَ تَعَدُّرِ جَمِيعِهَا " من " شرح النووي على مسلم " (9 / 90)

وفي " شرح الزرقاني على الموطأ " (2 / 448): " وَفِيهِ تَرْكُ مَا هُوَ صَوَابٌ خَوْفَ وَفُوعِ مَفْسَدَةٍ أَشَدَّ ، وَاسْتِغْلَافِ النَّاسِ إِلَى الْإِيمَانِ ، وَاجْتِنَابِ وَلِيِّ الْأَمْرِ مَا يَتَسَارَعُ النَّاسُ إِلَى إِنْكَارِهِ ، وَمَا يُخَشَى مِنْهُ تَوَلُّدُ الضَّرَرِ عَلَيْهِمْ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا ، وَتَأَلُّفِ قُلُوبِهِمْ بِمَا لَا يُتْرَكُ فِيهِ أَمْرٌ وَاجِبٌ ، كَمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَى تَرْكِ الزَّكَاةِ وَشَبْهِ ذَلِكَ ، وَفِيهِ تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمُّ مِنْ دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ ، وَجَلْبِ الْمَصْلَحَةِ ، وَأَهْمَا إِذَا تَعَارَضَا بُدِيَ بَرَفِ الْمَفْسَدَةِ " .

والخلاصة: أن فقه الموازنات يعتمد على تقديم المصلحة الكبرى على المصلحة الصغرى، ومصلحة العامة على مصلحة الخاصة، ومصلحة الكثرة على مصلحة القلة، ويعتمد أيضا تقديم الضروريات على الحاجيات، وتقديم الحاجيات على التحسينيات، وهكذا أبدا: تقديم الأهم على المهم، والراجح على المرجوح.

ج- فقه الأولويات :

الأولويات لغة: أولى اسم تفضيل فينحصر استعماله اللغوي في معنيين الأول بمعنى احق وأجدر، والثاني بمعنى أقرب

فقه الأولويات: عرف فقه الأولويات تعاريف منها:

وضع كل شيء في مرتبته. فلا يؤخر ما حقه التقديم أو يقدم ما حقه التأخير ولا يصغر الأمر الكبير ولا يكبر الأمر الصغير. (فقه الأولويات، د. ناصر بن محمد الأحمد).

مجموعة الأسس والمعايير التي تضبط عملية الموازنة بين المصالح المتعارضة أو المفسدات المتعارضة مع المصالح ليتبين بذلك أي المصلحتين أرجح فتقدم على غيرها، وأي المفسدتين أعظم خطراً فيقدم درؤها كما يعرف به الغلبة لأي من المصلحة أو المفسدة -عند تعارضهما- ليحكم بناء على تلك الغلبة بصلاح ذلك الأمر أو فساده. (للدكتور عبد المجيد السوسوة، منهج فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية).

مشروعيته فقه الأولويات:

جاء في نصوص القرآن والسنة ما يشهد لهذا الفقه بالاعتبار والمشروعية منها:

من القرآن: قال تعالى ﴿:أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾  سورة التوبة 19

وجه الدلالة: أن القرآن فاضل بين عملين وهما: سقاية الحاج والإيمان والجهاد، وقدم أحد الأعمال وفضله على الآخر وهو الإيمان والجهاد .

قال كذلك: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾  سورة الأنعام 108:

وجه الدلالة: إن الآية منعت من سب آلهة المشركين وتحقيرها، وهي مصلحة بلا شك، وتحفيز للناس إلى عدم عبادتها، حتى لا يسب المشركون المولى عز وجل، فكانت مفسدة سب الباري عز وجل أعظم من كل مصلحة فيها ذم لآلهة المشركين، وتحفيز الناس إلى عدم عبادتها. يقول ابن كثير (يقول تعالى ناهيا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو). ويقول القرطبي (وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين).

من السنة

لقد جاء في السنة النبوية عدد من الأحاديث الدالة على مشروعية فقه الأولويات منها:

- عن أبي هريرة: (قال رسول الله ﷺ: أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم. وإن أفضل الصلاة بعد المفروضة صلاة من الليل)
- عن عبد الله بن مسعود قال: (سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين. قل ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله)
- روى أن النبي قال - حين قال أحد المنافقين: (أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذلّ:)) فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، لَا وَلَكِنْ أَدْنُ بِالرَّحِيلِ »
- عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه.)

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثانية

مقومات الداعية الناجح

السنة الأولى ماستر دعوة

مقدمة: من منطلق محورة الداعية في العملية الدعوية؛ وكونه حجر الزاوية فيها فان نجاح الدعوة يتوقف بنسبة كبيرة على القدرات المعرفية للداعية وكذا المهارات الدعوية والسلوكيات والصفات المميزة له، وهذا ما يدعوننا الى الوقوف عند مقومات الداعية الناجح.

مفهوم المقومات:

أصل الكلمة الثلاثي هو قَوَمَ وأحد معانيه الانتصاب والعزم . معجم مقاييس اللغة (43/5) ومن أبرز الاستعمالات اللفظية بهذا الأصل ((قيام)) والقيام يجيء بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى [الرجال قوامون على النساء] لسان العرب (497/12) النساء [34] وقام الأمر: اعتدل وأقام الشيء أدامه القاموس المحيط (168/4)، وأمر قيم : أي مستقيم_ (المحكم لابن سيده (366/6) ، وقوام الأمر (بالكسر) نظامه وعماده (لسان العرب (499/12) ، والقيم: السيد وسائس الأمر(لسان العرب(502/12)، ومقوم الشيء وقوامه بمعنى واحد .

فالمراد بمقومات الداعية الناجح الأمور التي هي العماد لنجاح الداعية ليقوم بالدعوة، منتصباً لها عازماً ومحافظاً عليها، مستقيماً معتدلاً في أدائها، قائماً بشؤونها سائساً لأمرها حتى يكون قيامه بها خير قيام يتحقق به المقصود.

الداعية :

أصل الكلمة الثلاثي (دعوة) والدعوة المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء إلى شيء ما هو الترغيب فيه والحث عليه كما في قوله [والله يدعو إلى دار السلام] يونس [25] أي يرغب في الجنة ويقال دعا يدعو فهو داع والمرة منه دعوة وفي قوله تعالى [وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً] الأحزاب[46] أي داعياً إلى توحيد الله فالداعي هو الذي يدعو إلى أمر ما، والجمع دعاة وداعون والداعي والداعية واحد، والهاء فيه للمبالغة .

فالداعية إذن هو المؤهل القائم بترغيب الناس في الإسلام وحثهم على التزامه بالوسائل المشروعة.

أصل الكلمة الثلاثي ((نَجَح)) وهو أصل يدل على ظفر وصدق وخير (معجم مقاييس اللغة (390/5) والنُّجْح والنجاح الظفر بالشيء ونجح المرء إذا أصاب طلبته ونجح الأمر إذا تيسر وسهل ورجل نجح: منجح الحاجات ورأي نجح أي صواب (لسان العرب (612،611/2)، الصحاح (409/1)، القاموس المحيط (251/1) .

فالنجاح إذن هو القيام بالواجب على الوجه الأكمل وكثيراً ما تتحقق به النتائج وقد تتخلف لحكمة عند الله . وبهذا يتضح مدلول عنوان الموضوع ((مقومات الداعية الناجح)) وأن المراد تسليط الضوء على الأسس اللازمة لتوافرها للداعية في شخصيته وممارساته ومفاهيمه التي تؤدي إلى حصول الهداية وتحقيق أثر الدعوة.

أ - عناصر التأثير

- 1- الميل العاطفي والمحبة القلبية: إن محبة تقود إلى المتابعة للمحبوب، وتقديمه على من سواه، وتلمس موافقة هواه، ولذا قيل في تعريف المحبة إنها ((إيثار المحبوب على جميع المصحوب..))، ((والحب التام مع القدرة يستلزم حركة البدن بالقول الظاهر والفعل الظاهر فيما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه)) مجموع فتاوى ابن تيمية (541/7) ولذا فإن صاحب الرسالة يتحجب إلى المدعويين ، ويسعى إلى كسب محبتهم له وميل قلوبهم إليه ، لأن ذلك أعظم عون على قبولهم منه واتباعهم له ، وبدونه لا يحصل التأثير الإيجابي بالمتابعة ولو أقيمت الحجج ونصبت الأدلة لأن البغض للداعي يصد عن قبول دعوته وإن كانت حقاً: [فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك] آل عمران [159] فالاستجابة والمتابعة أعظم مقتضيات المحبة ، وهما في الوقت نفسه أعظم آثارها .
- 2- الإقناع العقلي والحجة العلمية: الهوى يهوي بصاحبه والعقل - بإذن الله - يعصمه ، والعقلاء يحكمون عقولهم في أهوائهم، والحجة والبرهان تحصل بهما قناعة العقل التي تزين الفعل أو الرأي للنفس وتحببه إلى القلب ، فالقناعة لها تأثيرها الذي لا ينكر في دفع الإنسان لاتخاذ الموافق والآراء ، وممارسة الأفعال ، أو الامتناع من ذلك ، وتلك مزية العقل الراشد الذي هو من أهم البواعث ((فلا يسمى عاقلاً إلا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه ، ومن فعل ما يعلم أنه يضره فمثل هذا ماله عقل)) مجموع فتاوى ابن تيمية (24/7).
- 3- القدوة الحية والنموذج المتحرك: لا يخفى أبداً أثر القدوة فهي الصورة الحية للفكرة ، والتطبيق العلمي للدعوة ، والتوضيح الجلي للحجة ، ولا شك أنها من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب ، ووجود القناعة في

العقول، وحسب المسلم قول الله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن

تقول مالا تفعلون] الصف [2،3] .

((و كثير من المدعويين ينتفعون بالسيرة ولا سيما العامة وأرباب العلوم القاصرة فإنهم ينتفعون من السيرة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ما لا ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهمونها)) مجموع فتاوى ابن باز (110/3). ورحم الله ابن القيم حيث أبدع في بيان عكس هذه الحقيقة عندما قال : ((علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطريق)).

ب- مقومات النجاح في تكوين الداعية:

ليتأهل الداعية للنجاح في دعوته ، لا بد له من مقومات شخصية لازمة في تكوينه في ذات نفسه وأن يوجدها ويكلمها في سماته وصفاته كأساس لا بد منه قبل أي مقومات خارجية تتصل بالمدعويين أو بيئة الدعوة أو موضوعاتها ، ومن هذه المقومات ما يلي:

1- التميز الإيماني والنفوق الروحاني: إن التميز في مجال الإيمان عقيدةً صحيحةً ، ومعرفةً جازمةً ، وتأثيراً قوياً يعد-

بلا نزاع - أهم المقومات وأولى الأولويات بالنسبة للداعية، وذلك من خلال كونه عظيم الإيمان بالله ، شديد الخوف منه ، صادق التوكل عليه ، دائم المراقبة له ، كثير الإنابة إليه ، لسانه رطب بذكر الله ، وعقله مفكر في ملكوت الله ، وقلبه مستحضر للقاء الله ، مجتهد في الطاعات ، مسابق إلى الخيرات ، مع تحري الإخلاص التام ، وحسن الظن بالله وهذا هو عنوان الفلاح ، ومفتاح النجاح ، إذ هو تحقيق لمعنى العبودية الخالصة لله وهي التي تجلب التوفيق من الله فإذا بالداعية مسدد ، إن عمل أجاد ، وإن حكم أصاب ، وإن تكلم أفاد .

2- الرصيد العلمي والزراد الثقافي : وهذا أساس لا بد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابة التساؤلات ، وحلول

المشكلات إضافة إلى ذلك هو العدة التي بها يعلم الداعية الناس أحكام الشرع ، ويصبرهم بحقائق الواقع ، وبه أيضاً يكون الداعية قادراً على الإقناع وتفنيد الشبهات ، ومتقناً في العرض ، ومبدعاً في التوعية والتوجيه .

((وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه

، ولا بد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم على حد يصل إليه السعي)) مفتاح دار السعادة(1/154) .

3- رجاحة العقل وقوة الحجة: للإيمان إشراقاته وآثاره ، وللعلم فاعليته ودوره ، ويبقى للذكاء والفتنة أهميتها التي لا

تنكر ، وإيجابيتهما التي لا تخفي ، وتوفر الذهن الوقّاد والعقل السديد الذي يرجّح إذا اختلفت الآراء ، ويحلل ويدلّل إذا فقد الإدراك وغاب التصور ، ويتقن ترتيب الأولويات ، واختيار الأوقات ، وانتهاز الفرص والمناسبات ، ويحسن التخلص من المشكلات ، ويقوى على الرد على الشبهات ، والتكيف مع الأزمات. وهناك أساليب كثيرة مستنبطة من الكتاب والسنة في إقامة الحجة العقلية واستخدام الأقيسة المنطقية واستحضار التفكير والتأمل نذكر منها:

(أ) أسلوب المقارنة: وذلك بعرض أمرين أحدهما هو الخير المطلوب الترغيب فيه ، والآخر هو الشر المطلوب

الترهيب منه ، وذلك باستشارة العقل للتفكير في كلا الأمرين وعاقبتهما للوصول - بعد المقارنة - إلى تفضيل

الخير واتباعه ومن أمثلة ذلك :- قال تعالى : [أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه

على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين] التوبة [109] .

ومن الأمثلة النبوية ما يأتي :- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

((إنما مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيك وإما أن تبتاع

منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة)) أخرجهم مسلم ، في

كتاب البر والصلة ، باب : استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء (النووي)(6/ 178) .

(ب) أسلوب التقرير : وهو أسلوب يؤول بالمرء بعد المحاكمة العقلية إلى الإقرار بالمطلوب الذي هو مضمون الدعوة

ومن الأمثلة القرآنية على ذلك :- قال تعالى [أم خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

بَلْ لَا يوقِنُونَ ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِيبِكُمْ أَمْ هُمُ الْمَسْيطِرُونَ ، أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فليأت مستمعهم بسلطان مبين

، أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ، أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ، أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ، أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا

فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ، أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] الطور[35-43]

ومن الأمثلة الحديثية :- عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مستنكراً

ومستترشداً : يا رسول الله ولد غلامٌ أسود ، فقال : هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال ما ألوانها ؟ قال : حُمْر

، قال : هل فيها من أورك ؟ أورك : أي : أسمر - النهاية في غريب الحديث (5/175) قال : نعم ، قال : فأنى ذلك ؟

قال : لعله نزع عرق ، قال : ففعل ابنك هذا نزعة عرق . أخرج البخاري ، كتاب الطلاق ، باب إذا عرّض

بنفي الولد (الفتح9/442).

(ج) أسلوب الإمرار والإبطال : وهو أسلوب قوي في إفحام المعاندين أصحاب الغرور بإمرار أقوالهم وعدم الاعتراض على بعض حججهم الباطلة منعاً للجدل والنزاع خصوصاً إلى حجة قاطعة تدمغهم وتبطل بها حججهم تلك فتبطل الأولى بالتبع.

ومن الأمثلة القرآنية : قصة إبراهيم مع النمرود قال تعالى [ألم تر إلى الذين حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين] البقرة [258]

ومثال ذلك: سأل بعض النصارى القاضي أبا بكر الباقلاني بحضرة ملكهم فقال : ما فعلت زوجة نبيكم ؟ وما كان من أمرها بما رميت من الإفك ؟ فقال الباقلاني على البديهة : هما امرأتان ذكرتا بسوء ، مريم و عائشة فبرأهما الله عز وجل وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد ، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج ! البداية والنهاية (9/135) .

4- رحابة الصدر وسماحة النفس :

إن الداعية الحق شخصية متميزة فهو كالمنارة الهادية من بُعد لمن ضل أو حار ، وبالتالي فهو نقطة تجتمع بالنسبة للمدعوين ، ولذا فإنه يحتاج إلى أن يتحلى برحابة الصدر وسماحة النفس ليستوعب الناس ويستميلهم للخير والحق وهكذا كان قلب الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كانت حياته مع الناس ، ((ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة ، بل أعطاهم كل ما ملكت يده في سماحة ندية ، ووسعهم حملة وبره وعطفه ووده الكريم ، وما من واحد منهم عاشه أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه ، نتيجة لما أفاض عليه صلى الله عليه وسلم من نفسه الكبيرة والرحيبة)) في ظلال القرآن (1/500-501)

(501)

وهذه الخصيصة مهمة في تكوين الداعية ، يحتاج أن يجتهد في اكتسابها لأنها ترفع كفاءة القبول ، وتكبح جماح الانفعالات النفسية ذات الآثار السلبية ، وتتجلى هذه الخصيصة في عدد من الخلال منها:

الرحمة والشفقة : ، وما أبلغ وأدق النص القرآني في بيان هذه الصفة عند الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم [فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا] الكهف [6] وقوله تعالى [لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين] الشعراء [3] . فمن فرط شففته صلى الله عليه وسلم داخله الحزن لامتناعهم عن الإيمان ، فهوّن الله سبحانه عليه الحال ، بما يشبه العتاب في الظاهر كأنه قال له : لم كل هذا ؟ ليس في امتناعهم - في عدنا - أثر، ولا في الدين من ذلك ضرر)) لطائف الإشارات (1/377) .

الحلم والأناة: _ والحلم ((فضيلة خلقية نافعة .. تقع في قمة عالية دونها منحدرات ، فهو أناة حكيمة بين التسرع والإهمال أو التواني وضبط للنفس بين الغضب وبلادة الطبع ، ورزانة بين الطيش وجمود الإحساس)) الأخلاق الإسلامية (325/2) . ومن أمثله من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك حيث قال : جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس ، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى بوله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب ماء أهريق عليه (أخرجه البخاري ، كتاب الطهارة ، باب صب الماء على البول في المسجد (الفتح) (324/1) .

العفو والصفح: فالداعية المسلم ينظر إلى من يدعوهم نظرة الرحمة والشفقة عليهم فإنه يعفو ويصفح عنهم في حق نفسه، قال تعالى: [خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين] الأعراف [199]. فعند ما وقعت حادثة الإفك، كان وقعها على آل أبي بكر شديداً، فلما نزلت البراءة حلف أبو بكر رضي الله عنه ألا ينفق على مسطح بن أثاثة فأنزل الله في ذلك قوله تعالى: [ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم] النور [22] . ومن أعظم مواقف العفو عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن المشركين يوم فتح مكة . الرحيق المختوم (ص: 480، 481) .

ملاحظة : بالنسبة لأساليب الدعوة ووسائلها، يمكن الاطلاع عليها من خلال:

- كتاب مدخل الى علم الدعوة للبيانوي .
- أساليب الدعوة من الصفحة: **241** الى الصفحة **273**.
- وسائل الدعوة من الصفحة: **281** الى الصفحة **332**.
- مشكلات الدعوة وعقباتها: من الصفحة: **344** الى الصفحة **370**